التاريخ اليهودى فى الولايات المتحدة

" يـبدو ـ للوهلة الأولى ـ وكأن النظام الاقتصادى لأمريكا الشمالية قد تطور بشكل مستقل عن اليهود، ورغم تلك المقولة فأنا مازلت أتمسك بما أكدته من أن الولايات المتحدة (ربما أكثر من أى دولة أخرى) قد امتلأت للحافة بالروح اليهودية. وقد بات هذا أمرًا معروفًا فى أماكن عدة ولاسيما تلك التى سكانها أكثر قدرة على تقييم مثل هذا الموضوع....

فى مقابل تلك الحقيقة، أليس هناك مبرر لوجهة النظر القائلة بأن الولايات المتحدة تدين بوجودها لليهود؟ وإذا كان الأمر بالفعل كذلك، كم مرة إذن يجب التأكيد على مقولة إن النفوذ اليهودى هو الذى أفضى بالولايات المتحدة إلى ما هى عليه الآن، بمعنى آخر كونها أمريكية؛ فما نطلق عليه "الهوية الأمريكية" "الأمركة" ماهو إلا الروح اليهودية لكن بعد أن ردت إلى أصلها ".

(ويرنر سومبارت ' اليهود ورأس المال الحديث' صفحتى ٣٨و٤٣).

* * *

يؤرخ للوجود اليهودى فى أمريكا مع قدوم المستكشف كريستوفر كولمبس. فقد شهد يوم ٢ أغسطس ١٤٩٢ حادث طرد ما يزيد عن ٣٠٠,٠٠٠ ألف يهودى من إسبانيا، وهو الحدث الذى كان مؤشرا لبداية الأفول لهيبة إسبانيا، وفى اليوم التالى أبحر كولمبس باتجاه الغرب مصطحبًا معه جماعة من اليهود الذين لم يكونوا بأى حال من الأحوال لاجئين، ولكن على ما يبدو أن خطة الملاح أثارت تعاطف اليهود ذوى النفوذ لمدة طويلة من قبل. ويخبرنا كولمبس نفسه بأنه اعتاد الاجتماع والتحادث مع اليهود. وللتدليل على مدى عمق العلاقة بين الطرفين بعث كولمبس بأولى خطاباته التى يشرح فيها تفاصيل اكتشافاته لصديق يهودى، وهو يعتبر بأن اليهود كانوا سببًا رئيسيًا فى تدشين الرحلة التاريخية التى أضافت لمعرفة وثروات البشرية "النصف الآخر من الكرة الأرضية"، أما القصة السارة بأن الملكة إيزابيلا قد باعت مجوهراتها لتمول الرحلة فقد اختفت تماما من وثائق البحث. الرواية

Obeikan.com

السائدة تقول بوجود ثلاث "مارانوس" [أويهود سريين]، تمتعوا بنفوذ عظيم فى البلاط الملكى الإسپانى وهم : لويس دو سانتاجيل الذى كان تاجرا مهما من ڤالنسيا كما شغل منصب "فلاح" للضرائب الملكية، وقريب لـه اسمه جابرييل سانشيز كان أمين الخزائن الملكية، وصديقهم رئيس البلاط الملكى خوان كابريرو. هؤلاء الثلاثة عملوا باجتهاد للتأثير على تفكير الملكة إيزابيلا مصورين لها نضوب الخزائن الملكية واحتمال أن يكتشف كولمبس ذهب جزر الإنديز، حتى بدت الملكة على أهبة الاستعداد لأن ترهن مجوهراتها لتمويل الرحلة، وتمنى سانتاجيل أن يحصل على إذن يخوله إقراض المال بنفسه، وقد كان، حيث قدم حوالى ١,٧٠٠ دوكات أى ما يعادل ٢٠,٠٠٠ الف دولار وهو يساوى ١٦٠,٠٠٠ بقيمة المال اليوم [عام ١٩٢٠]. ومن المحتمل أن القرض قد فاق تكاليف الرحلة.

وقد رافق كولمبس فى الرحلة خمسة يهود على الأقل هم؛ لويس دى توريز المترجم، ماركو الجراح، بيرنال الفيزيقى، الونزو دولاكال وجابرييل سانشيز، كما وأن الأدوات الفلكية والخرائط التى استخدمها الملاحون كانت يهودية الأصل. وكان لويس دى توريز أول رجل تطأ قدمه الأرض الجديدة، بل وأول من اكتشف استخدام الدخان، وقد استقر دى توريز بكوبا، ويقال إنه هو من أسس للسيطرة اليهودية على صناعة الدخان كما هو الحال اليوم. وقد نال عملاء كولمبس القدامى العديد من المزايا للدور الذى قاموا به، **غير أن كولمبس نفسه أصبح ضحية لمؤامرة دبرها بيرنال طبيب السفينة، وتلقى معاملة سيئة للغاية، ثم انتهى به الأمر إلى السجن كمكافأة لـه.**

بدأ اليهود ينظرون لأمريكا ـ منذ تلك اللحظة ـ على أنها حقل خصب، وبدأت أفواج المهاجرين تتجه بقوة صوب أمريكا الجنوبية وعلى الأخص البرازيل، ولكن مساهمة اليهود العسكرية فى أحد الخلافات التى نشبت بين البرازيليين والهولنديين جعلت يهود البرازيل يرتأون ضرورة الهجرة وهو ما فعلوه، حيث هاجروا باتجاه إحدى المستعمرات الهولندية، أو ما يطلق عليه الآن مدينة نيويورك. فى البداية لم يلق الوجود اليهودى ترحيبًا من عمدة المدينة الهولندى آنذاك پيتر ستيڤسانت الذى اعترض على استقرار اليهود بين السكان المحليين وأمرهم بالرحيل، غير أن اليهود كانوا قد أخذوا حذرهم، وحتى يتأكدوا من أنه سيتم استقبالهم حتى وإن لم يكن مرحبًا بهم، قاموا بشراء أسهم فى الشركات؛ ولذا بعد

إبطال أمر ستيفسانت بترحيلهم، قال المديرون الذين وافقوا على استقبال اليهود بأن السبب الأهم الذى حتم عليهم ذلك هو" رأس المال الضخم الذى استثمروه فى أسهم الشـــركة". ورغم ذلك فقد منعوا من الالتحاق بالخدمة العامة، ولم يسمح لهم بافتتاح محـــلات البيع بالتجزئة والتى كانت ستقودهم لمجال التجارة الخارجية ــ التى بدأوا فـــى ممارستها كلها بشكل يقارب الاحتكار بسبب صلاتهم بأوروبا. هذا فقط مثال مـــن آلاف الأمثلة التى يمكن الاستدلال بها على ثروة اليهودى. فإذا فرضت عليه حظـــرا مـــن ناحية ستجده يبرع فى ناحية أخرى، وحينما حظر عليه الاتجار فى الملابـــس الجديـــدة قام بالاتجار فى الملابس المستعملة، ودشن ذلك بداية عمليات التهـــريب المنظم للملابس المستعملة. وحينما حرم عليه الاتجار فى البضائع تاجر فـــى الـــنفايات، فاليهودى هو من أسس لتجارة النفايات فى العالم ، بمعنى آخر لقد عثـــروا علـــى الثـــروة فى حطام الحضارة وعلموا الناس كيفية استخدام السجاجيد القديمة وكيفية تنظيف الريش القديم والاستفادة من جلود الأرانب وقد طوروا تجارة الفـــراء والتـــي يحتكرونها الآن، وإليهم ينسب كذلك تحويل العديد من أنواع الجلود إلـــى علامـــات تجارية جذابة، والترويج لها على أنها أنواع من الفراء ذات درجة عالـــية مـــن الجودة. وكان اليهود هم أول من أعطوا لفكرة التجديد قيمة تجارية، حـــيث إنـــنا ســـنجد فى هؤلاء "الكهنة الرجال"ــ الذين نفخوا فى أبواقهم فى مدننا وأنقـــذوا المكـــواة القديمـــة والـــزجاجات القديمة والأوراق والمنسوجات القديمةــ ســـنجدهم نسل أولئك اليهود الأوائل الذين برعوا فى تحويل (المصائب) إلى نجاح ونفاية الأرض إلى مادة ذات قيمة.

وفي حركة تخلو من الذكاء، أجبر بـــيتر ستيفسانت اليهود على جعل نيويورك الميـــناء الـــرئيس فى الولايات المتحدة، ولكن بعد ذلك أجبر غالبية يهود نيويورك علـــى الفرار إلى فيلادلفيا أثناء الثورة الأمريكية، إلا أن معظمهم آب إلى نيويورك فـــى أقـــرب فرصة واتتهم، ويبدو أن الدافع الغريزي جعلهم يدركون بأن نيويورك ســـتكون فردوس المنفعة الرئيسية لهم فى الأيام الآتية وقد تأكد صدق حدسهم، ذلك أن نـــيويورك اســـتقر بها أكبر تجمع يهودى فى العالم، وغدت البوابة التى يتم من خلالها فرض ضرائب على معظم صادرات وواردات أمريكا، كما أنها صارت ــ عملـــيا ــ معقل التجارة فى أمريكا، وتدين بالفضل فى ذلك لسادة المال، أما أرض المدينة ذاتها فقد صارت هى الأخرى ضمن حيازات اليهود، وتكشف قائمة بمالكى

العقـــارات فـــى المدينة أنه نادرا ما يوجد اسم لمالك غير يهودى، وبالتالى لم يكن أمرًا مستغربًا أن الكتاب اليهود ـ حينما رأوا هذا الرخاء غير المسبوق والنمو فى الثروة والنفوذ اليهودى ـ كانوا يصيحون بشكل حماسى بأن الولايات المتحدة هى بالفعـل الأرض الموعودة والتى تنبأ بها الأنبياء، وأن نيويورك هي القدس الجديدة، بـل إن البعض ذهب إلى حد تشبيه قمم جبال الروكى بأنها جبال صهيون، كما أن هناك سببًا آخر يتمثل فى الثروة المعدنية والساحلية التى كانت بحوزة اليهود.

هـذا النفوذ كاد يتعرض للتهديد حينما ظهر مشروع مقترح بإنشاء ممر مائى من شأنه أن ينشئ ميناء فى كل مدينة كبيرة على البحيرات العظمى، وأن يأخذ من نـيويورك الهيـبة التـى احتفظت بها باعتبارها البوابة التى تتوقف عندها خطوط السكك الحديدية الرئيسية، هذا الأمر حدا باليهود لتقديم احتجاجات شديدة كان الدافع الرئيســى ورائها هو أن معظم ثروتهم الموجودة فى نيويورك تعتمد بالأساس على أن تظــل نيويورك كذلك، وسوف تتحول هذه الثروة إلى قيمة زائفة مصطنعة فى حــال مــا إذا جــد أى تطــور من شأنه أن يحول نيويورك إلى مدينة عادية على الســاحل وليست المدينة التى يقطن بها ممولو الضرائب لجباية الضرائب، ونتيجة لذلك كان لابد من عمل أى شيء لايقاف المشروع وإلا فإن معظم ثروة اليهود فى المديــنة ســيكون مآلها التناقص. لقد كان الوضع رائعا قبل الحرب، أما ما آل إليه الأمر الآن، فإن الإحصائيين سيجدون الأمر صعبا بمكان للحديث عنه.

فــي خــلال خمســين عاما زاد تعداد السكان اليهود فى الولايات المتحدة من ٥٠,٠٠٠ (خمســين ألــف نســمة) إلى ثلاثة ملايين وثلاثمائة ألف نسمة، ويقطن فلسطين حوالى مائة ألف نسمة، أما الجزر البريطانية فيبلغ تعداد اليهود فيها حوالى ثلاثمائــة ألــف نســمة، وهــذه نقطة تحسب لصالح اليهود؛ لأن السيطرة الكبرى والواضحة التى يمارسها اليهود فى انجلترا فيما يتعلق بالشئون الهامة كانت ستجعل الوضــع شــديد الصعوبة بالنسبة لليهود الأكثر فقرا إذا تواجدوا فى انجلترا بأعداد أكبــر، وبالتالــى من المستحسن أن يتواجدوا فى بريطانيا بأعداد قليلة، ويعترف بعــض البــريطانيين ـ الــذين يتمتعون بدرجة من الوعى ـ بأن مشاعر العداء للســامية قــد تطفــو علــى السطح فى بريطانيا فى سبيل قضية ما، غير أن هذه المشــاعر لن تظهر ـ بأى حال من الأحوال ـ ضد اليهود الأغنياء الذين لا يمكن الوصــول إلــيهم والذين فى أيديهم مقاليد السيطرة على الأمور السياسية والشئون

الاقتصـــادية العالمية، وربما يكون صحيحا أن أكثر الأسباب شيوعًا لمعاداة السامية هو أفعال اليهودى الدولى (العولمى)(*)، والذى هو فى العادة غير معروف، وآمن، بيـــنما يكون ضحية ذلك هو اليهودى الفقير، ولكن العداء للسامية سيكون موضوع المقـــال القادم. وإذا ما تفحصنا أعداد اليهود فى كل من بريطانيا والولايات المتحدة ســنجد أنهـــا تشير إلى أن النفوذ الخارق الذى تمتع به اليهود الماليون لم يكن فى واقـــع الأمر معتمدا على أعداد اليهود، ولكن الحقيقة المذهلة حول اليهود تتمثل فى كون هذا النفوذ العالمى ــ الذى لا يجابه ــ قد اقترن بتدنٍ نسبى فى أعداد اليهود، حـــيث إن هناك حوالى أربعة عشر مليون يهودى فى العالم، وهم مماثلون فى هذا الـــتعداد مـــع الكوريين، وسنرى لاحقا كيف أن هذه المقارنة مع الكوريين ستكون بمـــثابة دليل حى على مدى النفوذ الذى يمتلكه اليهود. ففي عهد چورج واشنطن ــ على سبيل المثال ــ كان هناك حوالى أربعة آلاف يهودى فى البلاد، وكان معظمهم من التجار الميسورين الذين كانوا يفضلون الاستقرار بالساحل الأمريكى، وكان من بينهم حاييم سولمون الذى ساعد المستعمرات بإقراض ثروته كلها فى وقت حرج. غيـــر أن هـــؤلاء وجدوا صعوبة فى الاندماج فى المجتمع ولم يشغلوا أى وظائف عادية أو حتى فى قطاع الزراعة، ولم يبدوا اهتماما يذكر بعملية الصناعة، ذلك أن جل اهتمامهم تركز على عملية البيع، ولم يظهر اليهود اهتماما بعملية الصناعة إلا مؤخـــرًا، ولكـــن حتـــى عمليات الصناعة التي انخرطوا فيها كانت ملحقة بخطط التجارة. الصناعة من شأنها أن تدخر الربح، والنتيجة لم تكن تقليص تكاليف المنتج للجمهور ولكن على العكس من ذلك ؛ لأن أحد ملامح العمل اليهودى ــ كما اتضح ــ تمثلت فى جعل الاقتصاديات تتم لصالح العمل وليس لصالح الجمهور.

بالنسبة لليهودى كلمة العمل مرادفة للمال، أما ما يفعله اليهودى الناجح بالمال بعـــد أن يحصـــل علـــيه فتلك قصة أخرى، ولكن لا يسمح لـــه بالتورط فى "وحل المثالـــية"؛ لأن ذلك الأمر من شأنه أن يحول بينه وبين الحصول على الدولار. أما فـــيما يـــتعلق بأرباحه المالية فلا يجب أبدا أن ترتبط بالإصلاحات التطوعية التى يحـــاول مـــن خلالها حفنة من الرجال تحسين ظروف العمال. وهذا الأمر لا يعود بـــأى حـــال مـــن الأحـــوال لأن اليهود قاسية قلوبهم بالضرورة، وإنما هو مرتبط

(*) كمـــا عرفنا، كتب هنرى فورد مقالات الكتاب سنوات ١٩٢٠ إلى ١٩٢٢م، ولم يكن مصطلح العولمة ظهر ذلك العصر، ونعتقد أن ما قصده بالدولى، هو ما نقصده بالعولمى اليوم.

بالدرجة الأولى بالتصور اليهودى لمفهوم العمل، فالعمل هو مسألة أموال وسلع وليس مسألة أشخاص، ووفقا لهذا المبدأ إذا كنت تمر بمعاناة وقلق فسوف يتعاطف معك اليهودى، أما إذا كان بيتك هو أحد عناصر نزاع العمل بينك وبينه فهو يتعامل بمبدأ أنك أنت وبيتك كيانان منفصلان؛ لأنه وفق نظريته للعمل فإنه يجد صعوبة شديدة فى "أنسنة" هذا البيت؛ لأن ذلك معناه أن يسلك سلوكًا أكثر رحمة من السلوك الذى يصفه بعض الناس بأنه "قاس"، أما اليهودى نفسه فلا يشعر بأن هذه التهمة عادلة ؛لأنه يبرر ذلك السلوك بأن الأمر فى النهاية ما هو إلا "عمل".

وربما فى خلال هذا الإطار يمكن توضيح ظاهرة « محلات العرق » اليهودية فى مدينة نيويورك، فحينما أشفق أفراد الأمة العطوفون على فقراء يهود محلات عرق نيويورك، لم يكن لديهم أدنى علم بأن أصحاب فكرة ومديرى تلك المحال هم أنفسهم من اليهود، وبالفعل فعلى الرغم من أنه فخر لبلدنا بأنه لا يوجد اضطهاد للأفراد بسبب لونهم أو جنسهم أو عقيدتهم الدينية ، فالحرية مؤمنة للجميع غير أن الحقيقة التي رصدها كل المحققين تقول بأنه إذا كانت هناك معاملة غير إنسانية عومل بها اليهودى، فمصدرها دائما يأتى من قومه والقيمين عليه وسادته، وليس هناك دليل على أن أيا من "صاحب المحل" أو العامل ــ كلاهما يهودى ــ قد تعاملا مع هذا الأمر على أنه وضع ليس إنسانيًا أو قاسيًا، وإنما كانوا يعتبرونه "عمل"، وكان العامل اليهودى يعيش على أمل أنه فى يوم ما ستكون لديه غرفة مليئة بالأفراد الذين يحيكون له الملابس، هذا الأمل حثهم على الاهتمام اللانهائى بـ "العمل" والطموح الشديد للعمل من أجل تحقيق هدف أساسى ألا وهو صعود السلم المهنى والتحول إلى سادة يعملون، بدون أدنى إحساس بالقهر أوالظلم، وهو على كل حال أسوأ شيء يسببه الفقر. ولا ينظر اليهود مطلقا للعمل الشاق على أنه نكبة، كما أنهم لا يعتبرون أنهم سيظلون قابعين فى المراتب الدنيا من الوظائف للأبد، وبالتالى فهم يبذلون طاقاتهم فى محاولة الصعود بدلاً من إلقاء اللوم على الظروف التى يعملون فيها، أو حتى محاولة العمل على تحسينها.

كل ما ذكر هو أمر محمود من الناحية الفردية ولكن على المستوى الاجتماعى هو أمر ضار؛ لأنه حتى وقت قريب كانت المراتب الدنيا من الوظائف غير مراقبة [ليست خاضعة لأى إشراف من الدولة] ولم تر الدوائر العليا ضرورة حتمية فى استحداث إصلاحات ومكاسب صناعية، ورغم أن لليهود سجلاً عظيمًا فى مجال

الأعمـــال الخيـــرية إلا أن سجلهم فى الإصلاح الصناعى لا يكاد يذكر. وإذا كان التعاطف المحمود الذى يكنونه لذويهم يدفعهم للتبرع بجزء من أرباحهم لتصحيح بعـضٍ مـــن الحاجـــات الإنسانية التى نتجت عن الطريقة التى يحصلون بها على أربـــاحهم، فإنه يبدو من الناحية الأخرى أن فكرة إصلاح الطريقة التى يحصلون بموجبها على أرباحهم ــ حتى تختفى الحاجات وأوجه القصور الناتجة عن ذلك أو حتـــى تتقلص ــ هو أمر لم يطرأ على أذهانهم. وللتدليل على ذلك فإن هناك عددًا مـــن الأسماء الخيرة بين صفوف اليهود الأغنياء، ولكن لا يوجد فى مقابل ذلك اسم واحد يؤيد الأنسنة الفعالة للصناعة وطرقها وعوائدها. وهذا أمر سئ ولكنه مفهوم، بـــل أهم من ذلك أنه يكشف عن العديد من الأمور التى يلام عليها اليهودى من قبل أولئك الذين لا يفهمون طبيعته، وربما يسمح اليهودى للآخرين بأن يشاركوه جزئيا نـــتائج الرفاهية التي يتمتع بها، غير أنه لن يذهب بعيدا فى السماح بتقاسم العمليات التـــى أدت لهـــذه الثروة أو حتى المشاركة فى الثروة أثناء صناعتها، ولا يجب أن يفهـــم هذا السلوك على أنه تم بدافع اللاإنسانية وبلادة الشعور، وإنما بدافع المفهوم المتأصـــل لدى اليهودى حول قواعد لعبة العمل، فى ضوء هذا المفهوم تبدو بعض مقتـــرحات الإصـــلاح الصـــناعى ضربا من الجنون، مثلما يعتبر اقتراح أن تنسب إحدى ضربات البيسبول لصالح الخصم على اعتبار أنه أمر إنسانى.

اليهودى الأمريكى لا يندمج فى المجتمع، هذه حقيقة ليس الغرض منها تقريعه أو كيل اللوم له، فاليهودى بإمكانه الاختلاط مع الأمريكيين إن أراد، ولكنه لا يفعل ذلـــك. وإذا مـــا حدث وتحقق هذا الاختلاط وتصادف أن تعرض لتحامل ضده ــ باســـتثناء نوع من التحرى يثيره النجاح الخارق لهم ــ فسيكون ذلك التحامل بسبب تـــرفعهم. لا يـــتم الاعتـــراض على اليهودى لشخصه أو لعقيدته أو لجنسه. وقيمه الروحية يشاركه فيها العالم بأسره، ولكن رغم ذلك فهو لا يندمج؛ لأنه يحيا على الشعور بالتفرد وبكونه غير منتمٍ. هذا ما يميزه ويجعله متفردًا عن الآخرين، ومن وجهـــة نظـــر معينة قد يكون هذا تمييزًا رائعًا، ولكن لا يجب أن يكون هذا التميز مبـــررًا دائمًا لشكواه ضد الأغيار(*) بصفة عامة، ذلك أن هنالك ميلاً يهوديًا لفعل ذلك. ولكن بدلا من الشكوى من الأفضل أن يوضح للأغيار ماهو الموقف الحقيقى لليهود من المسألة اليهودية، وحينما قال أحد اليهود الشباب: " هناك فرق كبير بين

(*) الأغيار، غير اليهود، الجنتيل (Gentiles).

اليهودى الأمريكى والأمريكى المتهود، فالأخير هو من الأغيار الهواة، مكتوب عليه أن يظل طفيليًّا للأبد. " إن الجيتو ليس نتاجًا أمريكيًّا وإنما هو استيراد يهودى صرف، ذلك لأنهم اختاروا أن ينعزلوا فى تكوينات اجتماعية متميزة، وتقول الموسوعة اليهودية فى معرض تعليقها على هذا الموضوع: " **إن التنظيم الاجتماعى لليهود المقيمين فى الولايات المتحدة مختلف بعض الشىء عن هذا التنظيم فى بلدان أخرى، ذلك أن اليهود سعوا ـ بدون أى إجبار ـ للعيش جنبا إلى جنب وهى صفة مميزة مازالت سائدة**".

وإذا أردنا عمل قائمة بمجالات العمل التى سيطر عليها يهودو الولايات المتحدة، فإن ذلك يعنى أننا حتما سنضع أيدينا على معظم الصناعات الحيوية للبلاد. وصناعة المسرح ـ وكما يعلم الجميع ـ هى صناعة يهودية بحتة. إنتاج المسرحيات والحجز وعمليات المسرح كلها فى يد اليهود، وهذا من شأنه أن يفسر حقيقة أنه فى كل عملية إنتاجية يمكن أن تشتم رائحة الدعاية، وربما من خلال إعلانات تجارية صارخة لا يعود أصلها للكتاب المسرحيين وإنما للمنتجين. وتشمل القائمة كذلك:

- صناعة السينما.
- صناعة السكر.
- صناعة الدخان.
- ما يقرب من نصف صناعة تغليف اللحوم.
- ستين بالمائة من صناعة الأحذية.
- الملابس الجاهزة للرجال والنساء.
- معظم متعهدى الحفلات الموسيقية.
- المجوهرات.
- الحبوب.
- القطن.
- تأليف المجلات.
- نشرات الأخبار.

- الكحول والقروض.

هــذا فقــط لذكر بعض الصناعات التى تقع تحت سيطرة اليهود فى الولايات المــتحدة إمــا بمفــردهم أو بالشــراكة مــع يهود آخرين وراء البحار. وسيدهش الأمريكيون إذا ما رأوا قائمة برجال الأعمال الأمريكيين تلون الهيبة التجارية فيما وراء الـبحار، وهــم فى معظمهم يهود ولديهم فهم لقيمة الاسم الأمريكى، وحينما تكــون فى بلد أجنبى وتصل إلى مكتب يحمل علامة "الشركة الأمريكية للاستيراد" أو " الشركة التجارية الأمريكية" أوغيرها من الأسماء الفضفاضة، تذهب هناك أملا فــى أن تجد شخصًا أمريكيًا، غير أنك بدلاً من ذلك تجد شخصًا يهوديًا كل علاقته بأمــريكا هورحلة قصيرة قام بها، وربما يلقى هذا بعض الضوء على الطريقة التى تــدار بها طرق العمل الأمريكية فى بعض أنحاء العالم، حيث يمكن لحوالي ثلاثين أو أربعين جنسية مختلفة أن تقوم بالعمل تحت الاسم الأمريكى، بل وتقوم به بشكل قانونــى، لذا ليس بمستغرب أن الأمريكيين لا يدركون بعض ملامح أسلوب العمل الأمريكى والتى يتم تغطيتها فى الصحافة الأجنبية. وكان الألمان يشتكون منذ فترة طــويلة بــأن العــالم يحكم على الألمان من خلال صورة التاجر اليهودى الرحالة والذى يتحدث بالألمانية.

وتبدو حوادث الرخاء اليهودى فى الولايات المتحدة أمرًا شائعًا، ولكن الرفاهية وهى مكافأة عادلة لبعد النظر والتطبيق، لا يجب أن تُخلط بالسيطرة والاحتكار. أما فــيما يتعلق بالرفاهية التى حازها اليهود، فيمكن لأى مجموعة أخرى أن تحوزها، فقــط إذا مــا كانت على استعداد لدفع الثمن الذى دفعه اليهود وهو ثمن غال جدا، وكقاعــدة، فكل شىء يمكن أن يوضع تحت الاعتبار. ولكن سيكون من المستحيل على أى تحالف من الأغيار، وفى ظل ظروف مشابهة أن يحوز ذات السيطرة التى حصــل عليها اليهود، لسبب غير متوافر فى الأغيار، وهو صفة العمل معا واتحاد الهدف والتماسك الذى يفرضه الانتماء لمجموعة عرقية واحدة، وهو مايميز اليهود. فبالنســبة للأغيار لا يهمهم فى شىء أن هناك أغيارًا آخرين، أما بالنسبة لليهودى فيهــتم كثيرًا إذا ماعلم أن الرجل الذى يقف ببابه ماهو إلا يهودى آخر مثله. يمكن القــول إذن بأن اليهودى قد صادفه النجاح فى كل شىء جربه فى الولايات المتحدة فــيما عــدا الــزراعة، والمبــرر الذى غالبا ما يقدم فى الأدبيات اليهودية هو أن الــزراعة العاديــة تعد أمرًا بسيطًا للغاية لأن ينخرط فيه اليهودى بمواهبه وذكائه،

وبالتالـــى فهــو غيــر مهــتم بها لإنجاحها، ولكنه حقق نجاحا فى صناعة الألبان والماشية وهى صناعة تحتاج "للعقل". وقد بذلت محاولات عديدة فى أنحاء عدة من الــولايات المــتحدة لبدء إنشاء مستعمرات زراعية يهودية ولكنها قصة من الفشل المتواصـــل، وقد عزا البعض هذا الفشل إلى نقص معرفة اليهود بالزراعة العلمية، بيـــنما قـــال آخرون بأنه يعود إلى كراهية اليهود للعمل اليدوى، وقال آخرون إنه يعود إلى نقص عنصر المضاربة فى الزراعة. فى كل الأحوال فإن اليهودى حقق نجاحـــا فـــى الوظائف غير المنتجة عن الوظائف المنتجة. وبعض دارسى المسألة يقولـــون بأن اليهودى لم يكن أبدا إنسانًا يهتم بالأرض ولكنه كان دائما تاجرًا، وأحد البـــراهين على تأكيد ذلك هو اختيار اليهود لفلسطين لأن تكون بلادهم، هذا القطاع مـــن الأرض الـــذى يشكل بوابة بين الشرق والغرب، والذى هو أيضا قبلة المرور البرى للعالم.

(ديربورن إندبندنت، عدد ٥ يونيو ١٩٢٠م)

* * *